

## فلسفة المعتزلة السياسية

د. منصور علي العجيلي تنتوش - كلية الآداب - جامعة غريان

## المختص:

لقد أقام المعتزلة فلسفتهم على حرية الإرادة عند الإنسان بناءً على أصل العدل، وهو أحد أصولهم الخمس الذي لا يُعد معتزلياً من لا يقول بها، فقرروا أن الإنسان بإرادته الحرة يخلق أفعاله بنفسه وفي إمكانه أن يفعل الشيء أو لا يفعله وعلى ذلك يكون الثواب والعقاب، فالعدل أن يجازى الإنسان على حسب ما قَدّم من أفعال، وهو خالقها وليس مجبر عليها؛ بل هو حرٌّ مُختار، وعلى هذا أقام المعتزلة أفكارهم السياسية ونظريتهم في الإمامة والتي تقوم على مبدأ الشورى، لذلك تجد علاقتهم بالسلطة تتغير مداً وجزراً، فهم يعادون السياسيين الذين لا يتفقون معهم ويرضون على من يرون فيهم العدل والورع، ففي الدولة الأموية يفضلون عمر بن عبد العزيز ويزيد الناقص، وليس الحال كذلك مع بقية الخلفاء الأمويين، وكذلك كانت علاقتهم بالدولة العباسية، والجدير بالملاحظة أن المعتزلة لم تكن لهم أهداف سياسية معينة يسعون لتحقيقها ولا رغبة لهم في السلطة، ولم يسخروا الدين في خدمة السياسة وربما سخّروا مناصبهم السياسية أو نفوذهم السياسي لخدمة أفكارهم ومذهبه أو أيديولوجيتهم، وقد برهنوا بالأدلة العقلية والنقلية على سلامة موقفهم، وسخروا أنفسهم وفلسفتهم لخدمة الفكر الحر والدفاع عن الدين ونصرة التوحيد ومحاربة الجهل والجمود الفكري الذي يرونه عند الجبرية.

ومن التوصيات الاستفادة من الأفكار السياسية الحرة للمعتزلة النابعة من الإسلام، والقائمة على مبدأ الشورى، ومن النتائج أن نقطة انطلاقهم كانت سياسية أساسها فكرة المنزلة بين المنزلتين.

**الكلمات المفتاحية:** المعتزلة - الجدل - الإمامة - الأمة - السلطان - الخلاف - الملل - الفرقة - المتكلمين - العقل - النقل - المنزلة بين المنزلتين - مخير - مجبر - خلق القرآن - تشيع - مناظرة - المبتدعة - المحنة.

## Abstract

The Mu'tazila declared their philosophy of freedom of will in man based on the principle of justice, which is one of their five principles, which is not considered a Mu'tazila who does not say it. They decided that man, with his free will, creates his own actions and that he can do something or not do it, and based on that, reward and punishment are justice. To reward a person according to the actions he performed, and he is their creator and is not forced to do them, but rather he is free and chosen, and based on that, the political ideas of the Mu'tazila and their theory of imamate were based on the principle of consultation.

Therefore, you find their relationship with authority changing ebb and flow, as they are hostile to politicians who do not agree with them and are satisfied with those who they see as just and pious. In the Umayyad state, they preferred Omar bin Abdul Aziz and Yazid al-Naqis, and this was not the case with the rest of the Umayyad caliphs, and so was their relationship with the Abbasid state, and it is worth noting. The Mu'tazilites did not have specific political goals that they sought to achieve.

They have no desire for power, and they have not harnessed religion in the service of politics. Perhaps they have harnessed their political positions or political influence to serve their ideas, doctrine, or ideology. They have proven, with rational and textual evidence, the soundness of their position, and they have harnessed themselves and their philosophy to serve free thought, defend religion, support monotheism, and fight ignorance and intellectual stagnation. Which they see in fatalis.

## المقدمة :

تعتبر فرقة المعتزلة من أكبر الفرق الكلامية وأهمها في تاريخ المسلمين، والتي دافعت عن الدين ضد الحاقدين على الإسلام من أصحاب عقائد التناسخ والثنوية والزنادقة، وكذلك الإسرائيليات التي تتعارض مع أصول العقائد الإسلامية.

والمعتزلة لهم نظرة خاصة في السياسة والعقيدة والإمامة، نابعة من الدين الإسلامي الحنيف، ولهم رأي في الذين يلازمون السلطان، ولهم نزعة عقلية مكنتهم من توسيع معنى الحرية الإنسانية لتشمل ما يترتب على الحرية من مسؤولية شخصية ودينية وسياسية، وعلاقة ذلك بالتوحيد والعدل وما نجم عن ذلك، من مسألة خلق القرآن والتي اعتنقها بعض السياسيين واختاروها مذهباً رسمياً للدولة، حاولوا فرضه على الرعية، وكان المعتزلة في ذلك كله يحرصون على ألا يحدث تعارض بين حجة العقل والنقل، وإن كان هدف هذا البحث هو إلقاء الضوء على الجانب السياسي لفكر المعتزلة، ولكن ليس بمعزل عن الجوانب الفكرية الأخرى؛ لذا كان لا بد من التعرض لبعض أفكار شيوخ المعتزلة في المجالات المختلفة، كالفلسفة والدين والسياسة، بشكل متكامل

فيما بينها ، مع إبراز دور الجانب السياسي بشكل خاص مستعينا في ذلك بما توّفر لديّ من مصادر ومراجع ، محاولاً قدر الإمكان استنتاج الفلسفة السياسية لفرقة كلامية سيطرت ردحا من الزمن على سياسة الامبراطورية الإسلامية، وذلك حتى تكتمل الاستفادة من فكر أسلافنا السياسي مبينا علاقته ببقية مكونات الحياة الفكرية في المجتمع وموضحا نظرتهم للإمامة وشروطها وحق الرعية في عزل الإمام ومحاسبته إذا خرج عن الجادة ، فهذه الأفكار يدعي الغرب الريادة فيها ، ويحاولون فرض نموذجهم السياسي وديمقراطيتهم التي لا تتمشى مع عاداتنا ومجتمعنا وديننا إلا من بعض الجوانب الإنسانية وهي نابعة من الإسلام ، فهذه دعوة الى تطوير أنفسنا من خلال تراثنا الفكري الأصيل ، مع الاستعانة بما يلائمنا من أفكار الإنسانية.

### إشكالية البحث:

تتحدد اشكالية البحث من المحاور التي يدور حولها البحث والتساؤلات التي تصاغ من هذه المحاور والتي تساعد الباحث على صاغة التساؤلات التي تحدد اتجاه الباحث في تحديد استخلاص الإجابات التي تمثل اهداف البحث, وعليه تحددت التساؤلات الآتية:

ما صلة السياسة بالأصول التي يجتمع عليها المعتزلة؟ وهل كانت نشأة المعتزلة سياسية؟ ولماذا سُميت بهذا الإثم؟ وما علاقة المعتزلة بالسلطة السياسية في وقتهم؟ وما رأيهم بمن يتقرب من السلطان؟ وما هو رأي المعتزلة في حرية الإنسان؟ وهل هو حر مخير أم مجبر مسير؟ وما موقف المعتزلة من مسألة الخروج عن الإمام أو ولي الأمر؟ وما مدى صلاحية آراء المعتزلة لتأسيس ديمقراطية حديثة؟

### أهداف البحث:

- 1- التعرف على صلة السياسة بالأصول التي يجتمع عليها المعتزلة .
- 2- معرفة ما إذا كانت كانت نشأة المعتزلة سياسية ، وسبب تسميتها بهذا الاسم؟
- 3- شرح علاقة المعتزلة بالسلطة السياسية في وقتهم وكذلك رأيهم بمن يتقرب من السلطان .
- 4- معرفة رأي المعتزلة في حرية الإنسان ، وهل هو حر مخير أم مجبر مسير .
- 5- توضيح موقف المعتزلة من مسألة الخروج عن الإمام أو ولي الأمر .
- 6- معرفة مدى صلاحية آراء المعتزلة لتأسيس ديمقراطية حديثة .

## أهمية البحث:

إن أهمية البحث تكمن في ما يحويه التراث الإسلامي من أفكار سياسية ونظام اجتماعي متناغم مع التوجه الديني السليم، بحيث يمكن الاستفادة منه بما ينفع البشرية جمعاء، والإسلام دين يدعو للعلم والبحث والتجديد، ويدعو إلى التأمل والحكمة والتفكير. وكان المعتزلة حريصين ألا يكون هناك تعارض بين حجة العقل والنقل، لذلك كانت لهم نظرتهم الخاصة في السياسة ومسألة الإمامة، ولهم عقلية مكنتهم من توسيع معنى الحرية الإنسانية، لتشمل ما يترتب على الحرية من مسئولية شخصية ودينية وسياسية، وعلاقة ذلك بقناعات بعض السياسيين الذين اعتنقوها واختاروها مذهباً رسمياً للدولة وعملوا على فرضه على الرعية.

## منهج البحث:

يعتمد هذا البحث المنهج التحليلي التاريخي، لما كان للمعتزلة من حكمة وجدل ومناظرات مذهبية وسياسية، وخلاف في بعض المسائل، أدى إلى ظهور عدة فرق إسلامية.

## الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة وهي تلك التي تناولت فرقة المعتزلة بالدراسة والتحليل، وكل ما له علاقة بفلسفة المعتزلة ومواقفهم السياسية وآرائهم الأيديولوجية والفقهية، من خلال معاصرهم للمشكلات السياسية التي حدثت في المجتمع الإسلامي، وخاصة بعد مقتل الخليفة الثالث، وما أبدو من آراء في جميع المسائل التي كانت موضع جدال بين المسلمين، وبين أيدينا عدة دراسات تتناول مواقفهم السياسية والأيديولوجية، نقتصر منها على ما يلي.

1- التاريخ السياسي لفرقة المعتزلة : هذه الدراسة للدكتور عبدالرحمن سالم. ونشرتها دار الثقافة بالقاهرة وذلك سنة 1989م، وتناولت علاقة المعتزلة بخلفاء الدولة العباسية، كالمأمون والمعتصم، وتأثيرهم في بعض الخلفاء العباسيين حتى اعتنقوا توجهاتهم الفكرية وبالتالي أثروا كثير في القرار السياسية، وقد أسس المعتزلة مدرسة فكرية تعتمد على تحكيم الاتجاه العقلي، دون تعصب أعمى.

2- دراسة في مذهب معتزلة البصرة : وهي دراسة مذهبية في أصول المعتزلة للدكتور رشيد الخيون : نشرتها دار الحكمة. الطبعة الأولى. لندن. 1997م، واستخدم

صاحب هذه الدراسة النقد التاريخي لبعض الشخصيات الفكرية والسياسية لمعتزلة البصرة، من حيث العقلانية المنطقية.

**3- آراء المعتزلة الأصولية :** صاحب هذه الدراسة الدكتور علي بن سعيد الضويحي وهي تتناول آراء المعتزلة الأصولية، نشرتها مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الثانية. سنة 1421 هـ/ 2000م. وهي تدور حول عدة مسائل أصولية خاض فيها المعتزلة، منها مسائل سياسية كمسألة أفضلية الإمام وهل يجوز إمامة المفضول في وجود من هو أفضل منه.

### تصميم البحث :

جاء تصميم هذا البحث في مقدمة بحثين ، وخاتمة ، وكل مبحث يشتمل على ثلاث مطالب كما يلي :

المبحث الأول يتناول آراء معتزلة البصرة وأهم شخصياتهم الأصولية والسياسية ويشمل ثلاث مطالب وهي: المطلب الأول: الفكر السياسي لمعتزلة البصرة، واصل بن عطاء، فلسفته السياسية ، والمطلب الثاني: عمرو بن عبيد وفلسفته السياسية، الإمامة عند عمرو بن عبيد ، والمطلب الثالث: الجاحظ وفلسفته السياسية والإمامة، الفوطي والإمامة، آراء القاضي عبد الجبار، وفي المبحث الثاني تم التركيز على معتزلة بغداد وأهم مرتكزاتهم السياسية والفلسفية ويشمل ثلاث مطالب: المطلب الأول: بشر بن المعتمر وفلسفته السياسية، المدرار والسياسة، جعفر بن مبشر والسياسة. المطلب الثاني: الآراء السياسية لكل من جعفر بن حرب الهمذاني، والإسكافي، الخياط، الكعبي والمطلب الثالث: المعتزلة ومسألة المحنة، وعلاقتها بالسياسة والعقيدة ، ثم نتائج البحث والتوصيات والهوامش.

### المبحث الأول - يتناول آراء معتزلة البصرة وأهم شخصياتهم الأصولية والسياسية :

ويتكون هذا المبحث من ثلاث مطالب نتناول أبرز مفكري معتزلة البصرة وآرائهم السياسية، ومشائخهم والمناظرين عنهم ، والمجادلين عن آرائهم ، والمدافعين عن العقائد الإسلامية، والذين أسهموا في نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي بجميع جوانبه والذين تجمعهم الأصول الخمسة، كما يجمعهم الكتاب والسنة، ورفض المستحدثات المخالفة

لعقائد الإسلام مع تأكيدهم على سلطة العقل ، فسادت بهم مدرسة المعتزلة زمنًا لا يقار عهم فيه أحد، وكان مؤسس هذه الجماعة الفكرية بالبصرة واصل بن عطاء.

### المطلب الأول - واصل بن عطاء :

كنيته أبو حذيفة واصل بن عطاء ويلقب بالغرّال ، عاش بين سنة (80-131) هـ وهو مؤسس مذهب الاعتزال ، ويعتبر شيخ المعتزلة الأول ، ساد الغموض نشأته ونسبه ، " ويروى أنه كان مولى لبني هاشم ، لقب بالغرّال ولم يكن غرّاًلاً ؛ " لكنه كان يلزم سوق الغرّالين بالبصرة ليعرف العفيفات من النساء فيجعل صدقته لهن" (1)، وكان أكثر جلوسه في سوق البصرة عند صديقه عبدالله ، مولى قطن الهلالي ، قالت عنه زوجته ، وهي أخت عمرو بن عبيد:- " كان واصل إذا جنّه الليل صف قدميه يصلى، ولوحه ودواته موضوعان ؛ فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالفه جلس فكتبها ثم عاد في صلاته" (2) ، وكان واصل بن عطاء يدافع عن شرعية التكليف كما دافع عنها معبد الجهني، وغيلان الدمشقي. يرى واصل أن العبد هو الفاعل للخير والشر، وهو الفاعل للطاعة أو المعصية، وهو المجازي على فعله وهو المسؤول على ما قدمت يده، من أقواله: " يستحيل أن يُخاطب العبد بفعل وهو لا يمكنه أن يفعل، فאלله منح الناس القدرة على الحركة والسكون بأنواعها كما منحهم القدرة على النظر العقلي وتحكيم العقل في كل شيء" (3) ، وهذا يدل على أن المتكلم يستند إلى ما جاء به الدين من اعتقادات ثم يلتمس الحجج العقلية التي تدعّمها، أما الفيلسوف فيبحث بعقله ويرى حقاً ما توصل إليه بالدليل دون نظر إلى ما جاء به الدين، فالمتكلم يعتقد ثم يستدل أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد.

الآراء السياسية لواصل بن عطاء: كانت آرائه السياسة توصف بالتشيع، يقول القاضي عبدالجبار: "أن واصلًا كان يفضل أبابكر وعمر بالترتيب" (4)، على جميع الصحابة، ويفضل علياً على عثمان ، ولكنه يوالى عثمان ، ولذلك يوصف واصل بالتشيع، فالشيعي في ذلك الوقت من كان يذهب إلى تفضيل (علي بن أبي طالب) على عثمان وليس على سائر الصحابة ، وهو موقف واصل بن عطاء من التفضيل، ويعزى موقف واصل هذا إلى أنه قد تلقى علمه على يد أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، فألتقط منه التشيع بالمفهوم المذكور ؛ لأن أبا هاشم لم يكن شيعياً بالمفهوم الذي يظهر عند الشيعة الإمامية والرافضة الذين يرفضون إمامة الخلفاء الراشدين إلا علياً. وأما موقف واصل بن عطاء من معركة الجمل والتي دارت بين (علي بن أبي طالب) من جهة (وعائشة وطلحة والزبير) - رضي الله عنهم أجمعين - من جهة أخرى، فالروايات

تختلف بين توقعه عن الحكم وبين الحكم على أحد الفريقين، بالفسق لا بعينه، لأنه يرى أن الفريقين كانوا أتقياء مؤمنين ولهم جهاد مع الرسول- صلى الله عليه وسلم - , وهم من أهل الهجرة معه، ولكنهم تقاتلوا بالسيف؛ فهو يرى أن أحد الطائفتين محقة، والأخرى على باطل ولم يبين من المحق ومن المبطل. مع أن الموقف السياسي لو اصل بن عطاء في أصحاب معركة صفين، وكذلك حادثة التحكيم والتي كانت بين علي ومعاوية؛ فهو يرى أن علياً وأتباعه كانوا على حق، والملاحظ أن هذا الرأي يتفق فيه جميع المعتزلة، " فهم تبرأوا من معاوية، وعمرو بن العاص، وإتباعهم واعتبروهم خارجون عن الإمام"(5) ، وكذلك رأي واصل في عثمان وقتلته "إن أحد الفريقين فاسق لا محالة، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة ولكن لا بعينه"(6).

**رأيه في مسألة الإمامة :** يرى واصل أن طريقها هي بيعة الأمة، وكان يفضل النفس الزكية كإمام في زمنه، يقول الأصفهاني: اجتمع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في بيت عثمان بن عبدالرحمن المخزومي، من أهل البصرة فتذاكروا الجور "جور الأمويين" فقال عمرو بن عبيد: فمن يقوم بهذا الأمر "يقصد أمر الخلافة" وهو أهل له. فقال واصل بن عطاء : "يقوم به والله من أصبح خير هذه الأمة محمد بن عبدالله ابن الحسن"(7) الملقب بالنفس الزكية" ولما قامت الدولة العباسية، كانت هناك صلة بين أبي جعفر المنصور وواصل بن عطاء في البصرة، لقد كانت صلة واصل بن عطاء بالمنصور، شخصية وليس مذهبية أي أن المنصور لم يعتنق مذهب الاعتزال رغم علاقته الجيدة مع واصل بن عطاء.

### المطلب الثاني - عمرو بن عبيد وفلسفته السياسية:

اسمه عمر بن عبيد بن باب، اصله من سبي كابل التي كانت تتبع بلاد فارس، ظهر أسلوب عمرو بن عبيد في السياسة من خلال مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أعتمد في أسلوبه على الموعدة الحسنة التي تؤثر في قلوب سامعيه، فقد كانت الخوارج توجب استخدام القوة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك ابن حزم وكان عند الصحابة والتابعين مجرد إنكار بالقلب، ثم القول باللسان ولم يبيحوا استخدام القوة وتجزير المعتزلة والزيدية وجوب استخدام القوة حين لا يمكن دفع المنكر إلا بها، وفي هذا يقول عمرو للخليفة المنصور "أو لم تعرف رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ إنني لا أراه" ولم يكن رفض عمرو للقوة رفضاً مطلقاً، ولكنه لا يلجأ إليها إلا إذا أستنفذ كل الوسائل اللينة، "فهو يرفض القوة التي تدفع إلى مجرد التمرد على الحاكم أو الفوضى السياسية، وإنما يرى الثورة المدروسة والمخطط لها والتي تتاح لها

عناصر النجاح وهذا ما يسميه شرط التمكّن" (8). ويشترط عمرو بن عبيد للثورة الناجحة على الحاكم الجائر أن يجتمع له ناس على قلب واحد مثل الذين خرجوا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أهل بدر فهزموا أضعافهم من المشركين، لأن نوعية الرجال وإيمانهم هو الأساس في نجاح الثورة أو الخروج عن الحاكم الجائر وهذا الشرط أثلج قلب المنصور لأنه يثق تماماً بأنه لا يتحقق، وقد روى القاضي عبدالجبار: أن أبا جعفر المنصور قيل له أن عمرو بن عبيد خارج عليك قال: هو لا يرى أن يخرج عليّ، إلا إذا وجد ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً مثل نفسه وذلك لا يكون. وورد عن أبي عمرو الزعفراني، أنه قال عن عمرو بن عبيد أنه جبان، فقال: "يا أبا عمرو لقد بلغني إنك تُجَبِّني وتقول لو فعل! ولو فعلت فَمَنْ أُنقِ به إلا واحداً" يعني واصلاً" أتري أن هذا الأمر يقوم به واحد وآخر معه" (9) لذا كان عمرو بن عبيد حذراً أشد الحذر في استخدام القوة، فقد قال له أيوب الفزاري يوماً: "ما تقول في رجل رضي بالصبر على ذهاب دينه؟! فقال: أنا ذاك!! قال أيوب: وكيف ولو دعوت أجاك ثلاثون ألفاً؟! فقال عمرو: والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفوا! ولو عرفتُ لكنت رابعهم!!" (10)

**الإمامة عند عمرو بن عبيد:** عمرو بن عبيد يرى أن الإمامة يجب أن تكون شورى وبيعة من الأمة، فهي الطريق الصحيح للإمامة، ويشترط في الإمام، أن يكون رجلاً له دين وعقل ومرؤة، و أن ينشر العدل بين الناس ورد المظالم عنهم وبهذه الشروط كان ينظر عمرو بن عبيد إلى السياسة في عصره، وهو يعتبر عصر الخلفاء الراشدين يمثل عصر التوحيد والألفة واجتماع الكلمة حول الكتاب والسنة، أما سنوات حكم عثمان الأخيرة يعتبرها عصر فتنة ويتوقف عن الحكم عليها كما كان يفعل واصل بن عطاء. وأما رأيه في الفريقين المتقاتلين في الجمل وصفين، فيروي الخياط أن واصل وعمرو توقفوا في الحكم، ولم يصدرا أحكاماً بالفسق أو الكفر، على أحد الفريقين. (11) وهذا يخالف رأى الشهرستاني الذي يقول "أن رأى عمرو بن عبيد فيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار". (12). وعمرو بن عبيد كان ينتقد بني أمية في عدم تحقيق العدالة الاجتماعية، ويؤكد هذا ما ذكره ابن قتيبة " أن عمرو بن عبيد عندما مر بجماعة يعكفون على شيء ويتجمهرون حوله فسأل: ما هذا؟ فقالوا له: إنه سارق يُقطع، فقال: لا إله إلا الله، سارق السرّ يقطعه سارق العلانية". (13)، وكان غير راض عن خلافة عمر بن عبدالعزيز، فهو يرى أنه أخذ الخلافة بغير شورى ولم يتوفر فيه الاختيار، ولا البيعة، ولا العقد، وهي مظاهر الحرية السياسية التي أقرها الإسلام، بينما كان يؤيد خلافة يزيد بن عبدالمك، يقول البغدادي: وإنه كان من دعاة يزيد الناقص (14). الذي يقول عنه الجاحظ



إنه أعدل بني مروان. ويعدده القاضي عبد الجبار أصلح من كان للخلافة، فهذا الخليفة كان محل تقدير وإعجاب عمرو بن عبيد، وكان هذا الخليفة يلقب بالناقص لأنه أنقص أعطيات بني أمية. عملاً بالعدل وبدأ بنفسه، وقتل ابن عمه في طاعة الله وصار نكالاً على أهل بيته، ونقص من أعطياتهم مازاده الجابرة لهم، وجعله في عهده شرطاً، ولم يجعله جزءاً، ويبدو أن عمرو بن عبيد قد أستعد للخروج لمعاونة يزيد الناقص لولا ورود خبر موته<sup>(15)</sup>، وكان عمرو بن عبيد من المقتنعين بأبي جعفر المنصور أنه يملك الصفات التي تؤهله ليكون خليفة المسلمين، معرفته به أن المنصور كان من تلاميذ عمرو بن عبيد.

### المطلب الثالث - الجاحظ وفلسفة السياسة:

الجاحظ من البصرة، واسمه أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، فهو من معتزلة البصرة، تتلمذ على إبراهيم بن سيار النظام، و في بداية ظهور الدولة العباسية اتخذت من الكتاب والخطباء وسيلة لتمجيد العباس بن عبد المطلب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - للدعاية لتثبيت اركان الخلافة العباسية والتخلص من أثار الأمويين، "وتثبيت حق العباسيين في الخلافة شرعياً، والحط من الأمويين والشيعية"<sup>(16)</sup>. وكان الكتاب والكتب من أهم وسائل الإعلام في ذلك الوقت، ومن هنا أخذ الجاحظ طريقه للخلفاء العباسيين مستغلاً الخلافات الفكرية والسياسية، حول نظرية الخلافة، فكان للخوارج مذهب وللشيعية رأياً غير ذلك، والمرجئة والأمويين وكثرة الآراء في ذلك، فأصدر المأمون أمراً للعلماء بالكتابة في هذا الموضوع، فأستجاب الجاحظ لأمره، وكتب في ذلك رسائل عدة وحملت كتاباته إلى المأمون، فنالت الخطوة عنده ودعاه إلى بلاطه للإقامة في مرو، يقول الجاحظ: ولما قرأ المأمون كتبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به، وصرت إليه، وقد أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها، وعندما رآها أعجب بغزارة ثقافة الجاحظ فأسند إليه ديوان الرسائل الذي لا يتولاه إلا الحاذق في مختلف العلوم، فمكث فيه ثلاثة أيام ثم ضاق منه، وطلب من المأمون أن يعفيه منه فأعفاه<sup>(17)</sup>. وكانت كتابات الجاحظ السياسية تبرر سلطة العباسيين، فكتب رسالته العباسية يروي فيها حججهم التي تثبت حقهم الشرعي في الخلافة استناداً إلى مبدأ الميراث في الفقه، ولعله صنف هذه الرسالة تقريباً للسلطة، ويكتب رسالة في فضل هاشم على عبد شمس يرفع فيها من شأن أجداد العباسيين ويدحض من شأن أجداد الأمويين، ويضعهم في صورة منكرة وكتب رسالة في بني أمية، يلعن فيها معاوية والأمويين، ويصفهم بالكفر والضلال والفسق والخروج عن الدين، والاستبداد بالخلافة وتحويلها

إلى مُلكِ كسروي، وهذا ما يريده العباسيون، ويروي المسعودي أن المأمون نادى بتبرئة الذمة من أي أحد يذكر معاوية بخير أو يقدمه على أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وانتشرت الكتب في الآفاق تلعن معاوية على المنابر" (18) لذلك كَتَبَ الجاحظ كتابه العثمانية، ليدافع فيه عن شرعية الخلفاء الثلاثة الأوائل ومهاجمة الشيعة، ليساعد على توطيد سلطة العباسيين السياسية ولعل هذه الكتابات هي التي جعلت المأمون يُحضره من البصرة ليعش بجانبه في قصر الخلافة في بغداد.

**الإمامة عند الجاحظ :** يرى الجاحظ أن الإمامة لا تُستحق إلا بخمسة شروط وهي:-

**أولاً:** الفضل والأعمال الخيرية والسوابق المشهورة، وأن يكون ذلك مشهوراً بين المسلمين .

**ثانياً:** الاختيار بعد التشاور والتناظر .

**ثالثاً:** بميراث العمومة كالمقامات الموروثة .

**رابعاً:** أو أن يكون سبب الاستحقاق الوصية .

**خامساً:** الاستحقاق "بتوافر الخصال الكريمة والقراية وحرمة العترة" (19)

وحسب هذه الوجوه والأسباب ، لا يكون للأمويين في الخلافة سبب ، و لا بينهم وبينها نسب ، وإن كانوا من قريش ، فليس كل قرشي يصلح للخلافة ، ويضيف الجاحظ : إن أسباب الخلافة معروفة ، فمنهم من ادعاها لعلي، لاجتماع القراية والسابقة في الإسلام والوصية، وإن كان الأمر كذلك فلا لآل أبي سفيان، ولا لآل مروان فيها دعوى، وإن كانت لا تُنال إلا بالسوابق والأعمال والجهاد فليس لهم في ذلك قدم مذكور و لا يوم مشهور . وبذلك بين الجاحظ عدم انطباق أي شرط منها على الأمويين بما فيهم معاوية الذي قال عنه: "إنه أستعمل جميع الخدع والمكايد الحلال منها والحرام كحيله رفع المصاحف في موقعة صفين لتشتيت جيش علي، وإيهام الناس أن علياً مشترك في دم عثمان فلا يستحق الإمامة، وعمل على ترغيب الناس إليه بالمال والمناصب والتودد، وبعد توليه الخلافة حولها إلى ملكاً كسروياً وغصباً قيصرياً، وقتل حجر بن عدى، وأطعم عمرو بن العاص خراج مصر، وأستأثر بالفيء، وعطل الحدود بالشفاعة والقراية، وبائع يزيد ابنه الخليع، وأدعى أن زياد بن سمية أخوة" (20). وهكذا كان الجاحظ يناصر العباسيين ويحط من شأن الأمويين وخاصة في كتابه (النابئة) الذي وضعه لهذا الغرض، مع ان الجاحظ يسير في نفس اتجاه المعتزلة، في ذم من يتقرب من السلطان

، من وزراء ومستشارين وغيرهم، يقول في رسالته - مدح التجاوز وذم عمل السلطان : مَنْ لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته، فإن أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق.

**الفوطي** : هو أبو محمد هشام بن عمرو الفوطي ، الشيباني ، من أهل البصرة "كان له قدر عظيم عند العامة والخاصة ، وذكره ابن المرتضي في آخر من ذكر من أهل الطبقة السادسة ينتمي إلى الجيل الثاني من المعتزلة، وتسميته بالفوطي نسبة إلى ثياب الفوط التي كانت تتبعها عائلته.

**رأيه في مسألة الإمامة**: يذهب الفوطي إلى أن الإمامة غير واجبه في ظل البر والتقوى والعدل بين الناس، فلو أشغل كل واحد بواجبه لاستغنوا عن الإمامة، أما إذا عصت الأمة وفجرت وقتلت إمامها، فلم تعقد الإمامة لأحد في تلك الحال. ويستنتج البغدادي من كلام الفوطي " أنه طعن في إمامة علي بن أبي طالب ؛ لأن أهل الشام على خلاف مع علي ، إلى أن مات فأنكر إمامة علي وأقر بإمامة معاوية " (21) ، وأما رأيه في معركة الجمل ، فهو يختلف عن روايات مؤرخي الفرق الإسلامية وفحواه : إن الفريقين اجتمعا للمناظرة والتشاور ؛ ولكن حرباً غير مقصودة وقعت بين الطرفين ، والفاعل الحقيقي في قيام الحرب ، هما مروان بن الحكم وعمرو بن جرموز عندما عمداً إلى قتل طلحة والزبير وهما يهتمان للسلم ، ويروي الخياط كذلك ؛ أن الفوطي اعتبر أن موقعة الجمل كانت مناظرة وليس حرباً اعتماداً على خبر ورد عن الزبير بن العوام ؛ إنه قال: سبحان الله ما ظننت أن فيما جئنا له يكون قتال.

**القاضي عبد الجبار والسياسية** : هو عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدي ، له علاقة بالسياسيين في الدولة العباسية، وخاصة في بغداد فهو لم يكن مقرباً من الخلفاء العباسيين، لأن الاعتزال لم يعد مفضلاً عندهم ونجمه بدأ في الأفول، ولكن القاضي تعرّف على الصاحب بن عباد، في البصرة عن طريق ابن عياش، وكان ابن عباد وزير مؤيد الدولة في الدولة البويهية ، فعينه الصاحب بن عباد قاضي القضاة، وبعد وفاة ابن عباد عزله فخر الدولة وصادر أمواله، لأن دولة بني بويه كانت شيعية، والقاضي كان معتزلياً خالصاً، فكان القاضي آخر حلقة من حلقات الاعتزال ، فارتمي المعتزلة في أحضان الزيدية، وجاء في رسالة الصاحب حين عهد إليه بالقضاء: "هذا ما عهد به مؤيد الدولة إلى عبد الجبار بن أحمد، ولاه قاضي القضاة بالرّي وقزوين وسهرورد وقم ، وما معها ويتصل بها" (22).

**الإمامة:** يرى القاضي أن اختيار الإمام يكون بموجب عقد له من أهل الحل والعقد، أو أن يعهد إليه الإمام الذي قبله، و لا يصح خلع الإمام إلا بموجب أحداث أو تجاوزات توجب خلعه.

## المبحث الثاني - معتزلة بغداد وأهم مرتكزاتهم السياسية والفلسفية:

المعتزلة البغداديون : إن انتشار فكر المعتزلة في بغداد يرجع إلى أحد مشائخ المعتزلة معروف بالورع والصلاح والقدرة على الوعظ والفصاحة, هو أبو موسى عيسى بن صبيح ولقبه المرادار.

### المطلب الأول - بشر بن المعتمر الهلالي:

كنيته أبو سهل, ونسبه لقبيلة هلال, تربي في الكوفة, ثم انتقل إلى بغداد ثم إلى البصرة فتتلمذ على مشائخ المعتزلة بها, ثم عاد إلى بغداد حيث أسس فرع الاعتزال وتتلذذ عليه ثمامة بن الأشرس, وأبي موسى المرادار, وأحمد بن أبي دؤاد, وغيرهم.

**فلسفته السياسية:** حبسه الرشيد حين بلغه أنه رافضي, ولما نفى هذه التهمة بأبيات شعر اعجبت الرشيد, أفرج عنه, وتختلف الروايات حول أسباب حبس هارون الرشيد لأبي سهل, بين تهمة الانتماء إلى الاعتزال, أو تهمة الانتماء إلى التشيع أو أنه رافضي, إلا أنه في أيام المأمون أصبح من المقربين, وكان من ذوي الحظوة في مجلسه وتصدر كما كان أيام وزير الرشيد يحيى بن خالد البرمكي شاعراً ومناظراً, أما رأيه في مسألة الإمامة: من المعروف أن معتزلة بغداد عموماً يفضلون الإمام علي بن أبي طالب على الخلفاء الآخرين, يشير إلى ذلك أحد معتزلة بغداد المتأخرين بقوله: " أن علياً أفضل من أبي بكر".<sup>(23)</sup> ويروي أحد المعتزلة عن أبي سهل بقوله: " قال بشر بن المعتمر ومن قال بقوله أن علياً كان أفضل الناس بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان أبوبكر يليه في الفضل, إلا أن قریشاً كانت أميل إلى أبي بكر منها إلى علي".<sup>(24)</sup> فمسألة الإمامة من المسائل التي كانت محط خلاف بين معتزلة البصرة وبغداد وأعني بذلك مسألة إمامة المفضل مع وجود الفاضل, ويُروى أن بشرأ بن المعتمر كان شاهد على كتاب ولاية عهد المأمون إلى الإمام علي بن موسى الرضا, رغم أن وجوده مع الشهود غير رسمي, وهم الوزير الفضل ابن سهل والقاضي يحيى بن أكثم, وإسماعيل بن حماد النعمان" حفيد الإمام أبي حنيفة. وكان معتزلة بغداد عموماً يفضلون الإمام علي؛ على الخلفاء الآخرين, يشير إلى ذلك أحد معتزلة بغداد المتأخرين بقوله: "وقال البغداديون سابقوهم

ومتأخروهم: إن علياً أفضل من أبي بكر" (24) أما معتزلة البصرة عندهم أن علياً متدرجاً في الأفضلية حسب ترتيب الخلفاء الراشدين.

**أبو موسى المرادار والسياسية:** عيسى بن صبيح المرادار كنيته ابو موسى، كان معروف بالزهد حتى "سُمي راهب المعتزلة".

**فلسفته السياسية:** من أقواله: من لا بس السلطان، أي: لازم مجالسة الحاكم كافر وزعم أنه لا يرث و لا يورث، ويتسأل البغدادي كيف غفل السلطان عن قتله على هذه البدعة؟ وكان اسلافه من المعتزلة يقولون بأنه لا كافر ولا مؤمن بل هو فاسق" (25) أما موافقه السياسية كمواقف كثير من المعتزلة، فقد تبرأ من عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، ومن كان في صفهما، وتوقف في الحكم على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلم يحكم عليه بخير و لا بشر، لأنه خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولكنه تبرأ من قاتليه، وشهد لهم بأنهم من أهل النار" (26) ويقول أحمد أمين: أن رأي المعتزلة في معاوية، وعمرو بن العاص ومن شايعهما يجد هوى في نفوس العباسيين، وخاصة إذا كان من يتبرأ من الأمويين هو من رجال الدين الزاهدين مثل المعتزلة، فذلك التبرؤ يجد صدى طيب عند العباسيين، ولكن هل تأثر المعتزلة بالسياسة العباسية؟ ويجب أن نبحث عن بعض من رجال الدين والدنيا معاً تأثر بذلك! ويضيف أن بعضهم هداه إلى ذلك التفكير الحر ومن هؤلاء أبا موسى المرادار، فمن كان يُكفّر من تقرب من السلطان لا يبيع رأيه له. (27)

**آراء جعفر بن مبشر السياسية:** هو أبو الفضل جعفر بن حرب الهذاني، كان واحد دهره في العلم والصدق والورع والزهد والعبادة "درس الكلام في البصرة على أبي الهذيل العلاف، ثم درس في بغداد على أبي موسى المرادار، كان بن مبشر متأثر بأستاذه في تحريم مخالطة أرباب السلطة فكان يعتزل أهل السلطة، ولم يقبل المناصب التي عرضت عليه بل ردّ هدية الوزير ابن أبي داؤاد، ويذكر ابن المرتضي أن أحد السلاطين أرسل إليه بعشرة آلاف درهم فلم يقبل وحمل إليه بعض أصحابه بدرهمين من زكاتهم فقبل. وقال الواثق لوزيره أحمد: "لم لا تولي أصحابي" يقصد المعتزلة" القضاء كما تولي غيرهم؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أصحابك يمتنعون، وهذا جعفر بن مبشر وجّهت إليه بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فذهبت إليه بنفسه واستأذنت فأبى أن يأذن لي فدخلت من غير إذن، فسل سيفه في وجهي وقال: الآن حلّ لي قتلك، فانصرفت عنه، فكيف أولي القضاء مثله" (28)

## المطلب الثاني - جعفر بن حرب الهمداني:

كان ابن حرب وحيد دهره في العلم يسير على نهج أستاذه المرदार، وزميله وصديقه جعفر بن مبشر، في مقاطعة أهل السلطان وتحريم مخالطتهم، ورغم أنهم كانوا يستدعون للمناظرة، ولكنه يبدو أنه يحضر مرغماً واتفق مرة أن "حضر جعفر مجلس الواثق للمناظرة، فحضر وقت الصلاة فقاموا لها وتقدم الواثق فصلى بهم، وتنحى جعفر فنزع خفية وصلى وحده، وكان أقربهم إليه يحيى بن كامل فجعلت الدموع تسيل من عينيه خوفاً على جعفر من القتل، قال: ثم لبس جعفر خفية وعاد إلى المجلس وأطرق، ثم أخذوا في المناظرة، فلما خرجوا قال له القاضي أحمد بن أبي دؤاد: إن هذا "يعني الواثق" لا يهتمك على هذا الفعل فإن عزمت عليه فلا تحضر مجلسه، فقال جعفر: ما أريد الحضور لولا إنك تحملني عليه، فلما كان المجلس الثاني نظر الواثق ثم قال: "أين الشيخ الصالح؟ فقال ابن دؤاد: إن به السُّل وهو يحتاج إلى أن يتكئ ويضطجع، قال الواثق: فذاك ولم يحضر جعفر بعد ذلك إلى مجلس الخليفة"<sup>(29)</sup> وهذا يدل على أن ابن حرب لا يرى الخليفة الواثق أهلاً للإمامة حتى يصلي وراءه، وفي ذلك تأويلاً إلى عدم الاعتراف بإمامة الواثق، ويعني فسقه وحتى تكفيره والخروج عليه، وهذا هو الأهم في رأي ابن حرب في الإمامة أي إنها تكون باختيار الأمة مع أن ابن حرب كان من عائلة ذات مركز مرموق في الدولة ومن المقربين إلى السلطة، ويقول عنه ابن المرتضي: "أن أباه كان من أصحاب السلطان"<sup>(30)</sup> ويروى أن ابن حرب كان قبل الزهد "يتقلد كبار أعمال السلطان وكانت نعمته تقارب نعمة الوزراء"<sup>(31)</sup>.

**الإسكافي من معتزلة بغداد:** هو أبو جعفر محمد بن عبدالله الإسكافي، أصله من سمرقند وتربى في بلدة إسكاف بين واسط وبغداد فغلب عليه اسم بلده، فيما يخص اتجاهاته السياسية فكان علوي الرأي محققاً منصفاً، قليل العصبيّة ويقول بالتفضيل كمعتزلة بغداد، وكان يختلف مع الجاحظ في أيهما أسبق للإسلام أبو بكر أم علي ويتشعب حتى إلى البحث في أفضلية الرجلين وخصائصهما "ويذكر الإسكافي أن سائر معتزلة بغداد يقولون أن أفضل المسلمين علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم حمزة بن عبدالمطلب، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان"<sup>(32)</sup>.

إن الإسكافي ومعتزلة بغداد لم يشاركوا الدولة في محنة خلق القرآن مع إقرارهم أن القرآن مخلوق لا كلام الله، فكانوا زاهدين في السياسة لا يجاملون الدولة ولم يقوموا بحركة سياسية ضدها، أما عن علاقة الإسكافي بالخلفاء العباسيين فيذكر ابن النديم أن

ذكائه وفطنته وصلت إلى المعتصم فأعجب به إعجاباً شديداً فقدمه ووسع عليه ولشدة إعجابه به، كلفه أن يعرض مقولاته على الموالي، وهم من المعتزلة المخالفين للإسكافي، وجلبهم من البصرين ويصعد المعتصم لهجته ضد المخالفين متحيزاً للإسكافي قائلاً له " فمن أبي منهم فعرفني خبره لأفعل به ما أفعل". (33)

**أراء عبد الرحيم الخياط السياسية:** هو ابو الحسن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط لم تمدنا المصادر التاريخية بأراء الخياط السياسية وخاصة رأيه في الإمامة، ولم تذكر المصادر أن الخياط يختلف عن المعتزلة في هذه المسألة، فهم يرونها إنها اختياراً من قبل الأمة، ولكن معتزلة بغداد بصفة عامة يميلون إلى التشيع، والخياط يرى أن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة "فقيل: فما منع الناس من العقد له بالإمامة؟ فقال هذا باب لا علم لي به إلا بما فعل الناس، وتسليمه الأمر على ما أمضاه عليه الصحابة.

**عبدالله الكعبي والسياسة:** هو أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي العالم المشهور، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم "الكعبية"، وكان من كبار المتكلمين" (34) ينحدر أبو القاسم الكعبي من خراسان، واشتهر باسم الكعبي، إضافة إلى تسميته بالبلخي نسبة إلى مسقط رأسه بلخ، ويسمى أحياناً بالحنفي، نسبة إلى انتمائه الفقهي، أما بالنسبة للمناصب السياسية فقد "شغل أبو القاسم الكعبي منصباً وزارياً في إمارة نيسابور، مقابل ألف درهم شهرياً، وعلى ديوان رسائل الإمارة كان صديقه أبو زيد البلخي وكان يتنازل عن مائة درهم من راتبه سراً عن طريق راعي الخزينة لصالح أبي زيد، وظل على هذا المنوال حتى حدث الصراع على الإمارة وسجنه ثم يطلق صراحة وزير المقتدر العباسي علي بن عيسى، ويحضره إلى بغداد" (35) وحول وظيفة الكعبي الوزارية كمعتزلي بغدادي، أثبتت تساؤلات عديدة، فالسلوك الذي اعتاده معتزلة بغداد هو اجتناب أهل السلطان، ولكن الكعبي تاب وعزف عن السلطة مختاراً، يقول ابن المرتضي: "كان تولي بعض أعمال السلطان ثم تاب من ذلك وأصلح". (36) أما عن رأيه في الإمامة "فقال: القرشي أولى بها من الذي يصلح لها من غير قریش إلا إذا خاف الناس الفتنة، ويرى أن الإمامة شأن اجتماعي فيقول: "يجب على الناس أن يُنصَّبوا الإمام.

### المطلب الثالث - المحنة والمعتزلة:

تعتبر قضية المحنة جدلية سياسية دينية، حيث كان للمعتزلة ذوي النفوذ السياسي دور رئيسي في تأجيجها، وقد كانت أثارها سلبية عليهم، ومن المعروف أن سياسة الدولة

العباسية امتازت بحرصها على التقرب من الجمهور، ومن خلال المحافظة على الشريعة الإسلامية وأصول الدين، وكان المأمون يرى أن القول بخلق القرآن من أصول الدين، ويجب على أمير المؤمنين أن يكون راعياً للدين وأصوله الإيمانية. وكان المأمون مثقفاً ثقافة واسعة عميقة، وله شغف بالبحث الأدبي والعلمي، وأخذ له رجال يجتمعون في قصره، فيحاورون وينظرون في شتى المسائل من أداب وتاريخ وفقه وعلم كلام، وكان عقل المأمون حراً في التفكير مع التزامه بأصول الدين، " وكان أقرب المذاهب إلى نفسه الاعتزال لأنه أكثر حرية وأكثر اعتماداً على العقل".<sup>(37)</sup> وكل ما يدور في مجالس القصر من الجدل والمناظرات كانت تتناقله الألسن في الشارع والسوق وغيره فتتجادل فيه الناس فيكون صدى لجدال القصر، وكان فريق من الذين يحضرون مجالس الجدل و فريق من المجادلين يُزَيَّن للخليفة حمل الناس على القول بخلق القرآن. وكان ثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد من أبرز أولئك. وكان البعض يرى أن الدولة والقائمين على السياسة لا شأن لهم في هذا الأمر والناس أحرار في اعتقاد ما يرون، ولا ينبغي للخليفة أن يتدخل في نصرة مذهب على مذهب، ولا يفرض على الناس اعتقاداً مذهبياً خاصاً، وكان من أصحاب هذا الرأي يحيى بن أكثم قاضي الخليفة المأمون، ويزيد بن هارون الواسطي، يقول يحيى بن أكثم للمأمون عندما هم بلعن معاوية على المنابر: "والرأي أن تدع الناس على ما هم عليه، ولا تظهر لهم إنك تميل إلى فرقة من الفرق، فإن ذلك أصلح في السياسة وأحرى في التدبير"<sup>(38)</sup>، ومن أصحاب هذا الاتجاه يزيد بن هارون الذي قال عنه المأمون: " لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت القول بخلق القرآن، فقال له بعض جلسائه: ومن يزيد بن هارون حتى يتقيه أمير المؤمنين؟ فقال: أني أخاف إن أظهرته يرد علي فيختلف الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة".<sup>(39)</sup> ولما مات يزيد بن هارون وعُزل يحيى بن أكثم من منصب القضاء، وتولى ابن دؤاد ضعف الفريق المنادي بترك مسألة خلق القرآن، ورجحت كفة المؤيدين، وحمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن "سنة 218 هـ" والمأمون رغم قوة شخصيته فهو يتأثر برأي من حوله وخاصة أن له استعداد وقبول لهذه المسألة، وقد سبق له أن أدخل مسائل مذهبية في سياسة الدولة، فأعلن تفضيل الإمام علي بن أبي طالب على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأغضب بذلك كثيراً من الناس ونادى بتحليل نكاح المتعة، وهو في طريقه إلى الشام، لما صح عنده حديث جَلِّ المتعة فقال وهو مغتاض: متعتان كانتا على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر رضي الله عنه؟!، وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جُعَل حتى تنهى عما فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر رضي الله عنه؟!"<sup>(40)</sup> حتى دخل عليه يحيى بن أكثم وحاوروه



في ذلك بأدلة من كتاب الله وسنه رسوله ثم قال له يا أمير المؤمنين زوجة المتعة مُلك يمين؟ قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، فقد صار متجاوز هذين مع العادين. في قوله - تعالى - : ( فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ )<sup>(41)</sup>، وأخبره عن حديث رواه الزهري عن علي بن أبي طالب أنه قال: أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها، فألتفت المأمون فقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلنا نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك - رضي الله عنه - ، فقال: " استغفر الله، نادوا بتحريم المتعة ، فنادوا بها" <sup>(42)</sup> فالمأمون يميل إلى حمل الناس على ما يعتقد أنه صحيح في الدين. ونصره في ذلك جماعة المعتزلة وشجعوه على ذلك، لأنهم يرونه أمراً بالمعروف ونهي عن المنكر، وهو أحد أصول المعتزلة، الذي إذا نجحوا فيه يعتبرون أنفسهم قد خدموا الإسلام، ونشروا العقيدة الصحيحة، كما حارب قبلهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد الزنادقة والمستهترين بالإسلام، وكانت مسألة خلق القرآن هي التي تركز فيها جهد الاعتزال في زمن المأمون لكثرة القول والجدل فيها، ولأنها مبنية على أحد أصول المعتزلة، وهو التوحيد وعدم تعدد صفات الله فساعدوا المأمون على ميله، "وكان زعيمهم في ذلك أحمد بن أبي دؤاد ، وظلت هذه المسألة مسألة السياسة والناس وسُميت في التاريخ بالمحنة" <sup>(43)</sup> وظل الجدل دائراً حول هذه القضية بين فريقين، الأول يرى أن القرآن كلام الله، وهو (مخلوق لله لم يكن ثم كان) ويتزعم هذا الرأي المعتزلة وتبناه الخليفة المأمون وتقول به الخوارج أيضاً، وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة، وكان يقول به قبل هؤلاء الجعد بن درهم الذي فقد حياته لهذا السبب، وقال به الجهم بن صفوان، لكن المعتزلة هم الذين جردوا القلم والكتاب لنصرتهم.

## نتائج البحث:

- 1- المعتزلة اشترطوا في الإمام : الشورى , والاختيار, والبيعة , والعقد , ليكون حاكم أعلى في الدولة الإسلامية ويقوم بمصلحة العباد، وحفظ الشريعة.
- 2- يعتبر المعتزلة أصحاب فكر سياسي أصيل في التراث الإسلامي، وهو الذي تبنته الديمقراطية المعاصرة، وأفكارهم هي من أسس الحرية السياسية في الإسلام.
- 3- أن مسألة الإمامة عند المعتزلة ليست من أركان الدين، كما الحال عند الشيعة الإمامية، بل هي من المصالح الدنيوية، والإمام عندهم يجب أن يستند إلى جمهور المسلمين ويأخذ البيعة.

4- إن المعتزلة يميلون إلى حرية الفكر والبعد عن التقليد، وأخذ المعرفة والإيمان بالنظر، والاستدلال، وتأكيد القاعدة التي تقول "الفكر قبل ورود السمع" أي أنهم يقدمون العقل على النقل.

5- أن نقطة انطلاقهم كانت سياسية أساسها فكرة المنزلة بين المنزلتين.  
6- إنهم يعتزلون الخلافات ويفضلون البعد عن خدمة السلطان لذا اعتزلوا المعارك والحروب التي دارت بين المسلمين ، حتى أن تسميتهم بالمعتزلة جاءت نتيجة حيادهم واعتزالهم.

### التوصيات:

- انصح الزملاء المتخصصين في الفرق الفلسفية الإسلامية لمزيد من الدراسات في هذا المجال لأن فيه كثير من الأسس العلمية والاجتماعية التقدمية.

- علي المهتمين بالمعتزلة أن يوجهوا أبحاثهم الفكرية إلى تراث المعتزلة الفكري، لاستكشاف كنوزهم الفكرية والأدبية فقد كانوا فرسان البلاغة وأرباب الكلام .

- على الباحثين الرجوع إلى المصادر المعتزلية في أبحاثهم، فهي التي تمثل الفكر الحقيقي للمعتزلة.

- المسلمون اليوم في حاجة إلى أحياء روح المعتزلة العقلية، وليست التقليدية التي تدافع عن الدين بالعقل والعلم، وذلك لمواجهة الهجمة الغربية العلمانية الصليبية على الإسلام، وما لحق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - من إساءة من الذين لا يفهمون دين الإسلام.

- الاستفادة من الأفكار السياسية الحرة للمعتزلة النابعة من الإسلام، والقائمة على مبدأ الشورى.

## الهوامش

- 1- الجاحظ. البيان والتبيين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1. 1998م. 16/1
- 2- المصدر السابق. ص: 67.
- 3- ابن المرتضي . المنية والأمل. تحقيق محمود جواد . دار الندى بيروت . 1990م.
- 4- القاضي عبد الجبار الهمذاني. المغنى في أبواب التوحيد والعدل. تحقيق : عبدالحليم محمود القاهرة ط :1، الأولى. 20/2
- 5- الخياط : الانتصار. تحقيق د. نبيرج. دار العربية للكتاب. بيروت. ط2. 1994م. ص98.
- 6- الشهرستاني : الملل والنحل. تحقيق أبي محمد بن فريد . المكتبة التوفيقية . القاهرة. ج1. ص69.
- 7- الأصفهاني . مقاتل الطالبين. تحقيق احمد صقر. مؤسسة بيروت. 1978م. ص293.
- 8- القاضي عبد الجبار الهمذاني. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص226.
- 9- المصدر السابق . ص250.
- 10- د. محمد صالح السيد. عمرو بن عبيد. وآراءه الكلامية. دار قباء. ط:3 سنة 1999م . ص140.
- 11- الخياط أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان. الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد . مكتبة دار العربية للكتاب . تحقيق . د. نبيرج . الطبعة الثانية . سنة 1993م . القاهرة.
- 12- الشهرستاني. الملل والنحل. سبق ذكره. جزء 1 . ص62.
- 13- ابن قتيبة الدينوري. عيون الأخبار حقه د. ثروت عكاشة. دار المعارف القاهرة. 1949م. ط4. ص117.
- 14- البغدادي عبد القاهر. الملل والنحل. حقه. د. البير ناصر نادر. دار المشرق. ط:3 . بيروت سنة 1992 . ص87.
- 15- الكعبي. مقالات الإسلاميين. كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة. ط. 1774م. ص117.
- 16- الجاحظ . البخلاء ص18. مصدر سبق ذكره.
- 17- ياقوت الحموي معجم الأديب. تحقيق احسان عباس. دار الغرب. القاهرة. 1993م. ج 15. ص79.
- 18- المسعودي مروج الذهب. تحقيق سعيد اللحام. دار الفكر. بيروت. 1997م . ط1. ج4. ص79.
- 19- الجاحظ. رسالة الحكمين . المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1958م. ص423.
- 20- الجاحظ. رسالة فضل هاشم على عبد شمس. تحقيق عبدالسلام هارون . مكتبة الخانجي. القاهرة – 1965 . ص77.
- 21- البغدادي . الملل والنحل. حقه. د. البير ناصر نادر. دار المشرق. ط1. بيروت سنة 1992. ص114.
- 22- احمد أمين . أحمد أمين. ظهر الإسلام. ط1. دار الكتب العلمية. الطبعة الأول. 2004م .
- 23- ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة . ج1. ص7.

- 24-د. رشيد الخيون. معتزلة البصرة وبغداد. دار الحكمة. ط1. لندن. 1997م. ص236.
- 25- د. عادل العواء. المعتزلة والفكر الحر. دار الأهالي. دمشق. ط1. 1978م. ص255.
- 26- احمد أمين. ضحى الإسلام. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 2004م. ج3. ص256.
27. وأحمد امين. المرجع السابق. ص109.
- 28- زهدي جار الله. المعتزلة. مطبعة مصر. سنة 1366 هـ. 1947م.
- 29- ابن المرتضي. طبقات المعتزلة. مرجع سبق ذكره. ص74.
- 30- المرجع السابق. ص73.
- 31- د. رشيد الخيون. سبق ذكره. ص259.
- 32- ابن أبي حديد. "عزالدين أبو حامد بن عبدالله" المعتزلي. شرح نهج البلاغة. ج1 - تحقيق: محمد أبي الفضل. دار أحياء الكتب العربية القاهرة. ط1. مطبعة عيسى الحلبي. 1959م.
- 33- ابن النديم. الفهرست. تحقيق رضا بن علي. دار المسيرة. القاهرة. ط8. 1988م. ص213.
- 34- ابن خلكان: وفيات الأعيان تقديم محمد عبدالرحمن. دار التراث العربي بيروت. ط1. 1997م ج2 ص22.
- 35- د. رشيد الخيون. معتزلة البصرة. سابق. ص292.
- 36- ابن المرتضي. طبقات المعتزلة. سابق. ص89.
- 37- احمد أمين. ضحى الإسلام. سابق. ج3. ص120.
- 38- ابن المرتضي. المنية والأمل. سابق. ج1. ص56،57.
- 39- أحمد أمين. ضحى الإسلام. سابق. ج3. ص120.
- 40- ابن خلكان. وفيات الأعيان. سابق. ج3. ص276.
- 41- سورة المؤمنون. آية 7.
- 42- ابن خلكان. وفيات الأعيان. سابق. ج3. ص278.
- 43- أحمد أمين. ضحى الإسلام. سابق. ج3. ص121.